المشار إليها وتسكن عند سكونها، ولا تندهشي أيتها القارئة إذا تصورت جمال هذا الثوب وقدرت ما استغرقت نفقته من قناطير الدنانير بل قولي مع القائل لا عيشة إلاَّ مع الغنى ولا حياة إلاَّ مع المال على حد قول الشاعر:

إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحةً وهي السلاح لمن أراد قتالا

وكنت أود أن استطرد إلى ما كان من الأخلاق والعوائد المألوفة في خطب الباريزين وأعراسهم وولايمهم ومراقصهم ومآتمهم وأحزانهم إلى غير ذلك من أنواع التفائل والتشائم في هيأتهم ومجتمعاتهم، لكن تركت ذلك إلى باب العوائد والأخلاق لكي أقابله بما بينهم وبين الأمة الإنكليزية من العوائد القديمة والحديثة وكل آتٍ قريب.

وقبل أن أنتقل من هذه العاصمة إلى ما سواها من عواصم أوربا وأميركا استسمح القراء بذكر بعض مواقع باريس وساحاتها وقصورها وآثارها ومنتزهاتها ومراسحها وقهاويها ومكاتبها وجرائدها ومدارسها وأكاديمياتها إلى غير ذلك من علومها ومعارفها وآدابها وتمدنها مما لا نظير لها فأقول.

«البقية تأتي»

العصر الحميدي

«بقلم حضرة الأديبة الآنسة إميليا فارس طراد بمدرسة الشويفات»

بسم المهيمن بدء القول يـــزدانُ وحمدهُ خير ما يتلوهُ إنســـــانُ

كم خصَّنا بكرامات علت وسمت فضاق عن وصفها يا قوم شكرانُ

في كل آنٍ لنا من فضـــلهِ كرمًا سوابغ كم لها في ذاتها شـــانُ

هذه خليفـــتهُ الظل الظليـــل ومن ... نظيره لم يقم من قبل سلطـــانُ
عبدالحميد الذى فى عصـــره طلعتْ ... كواكب السعد تجلى وازدهى البانُ
مليكُ عدلٍ بهِ الدنيـــا قد ابتهجـت ... وتاهَ من فضلهِ بالعـــز لبنـــانُ
فقم ترَ الأرزَ للعلـــياء مدَّ يـــدًا ... كأنها من جميل الصنع شكـــرانُ
مذ قام نعوُمُ فيهِ حاكـــمًا فزهـــا ... بأمنهِ وتصافى الذيب والضـــانُ
ذاك الوزير الخطير الندب من شهـدت ... بفضلهِ فى الملا عجمٌ وعربـــانُ
ما زالَ مذ حلَّ فينا آخذًا أبـــدًا ... بناصر العلم فهو اليوم يـــزدانُ
هاك المـــدارس فى أيامهِ طلـــعت ... كواكبًا نورها علْم وعرفـــانُ

إنَّ من يمعن النظر وينعم الفكر بما وصل إليه عصرنا الحالى أى العصر الحميدى من أسباب التقدم والنجاح لابدَّ له أن يقف توقف التحيرُّ والانذهال لسرعة هذا الانقلاب العجيب والنموّ الغريب، يرفع أكف الضراعة للعزَّة الإلهية ليحفظ ويدم من بظلهِ نحن جميعًا مستظلون ببحبوحة الأمن والسلام راتعون من بعنايته ودرايته، تقدمت البلاد وابتهجت أفئدة العباد من انقادت إليه أعظم الأعمال صاغرة ذليلة وخرَّت المصاعب من هيبتهِ مذعورة كليلة، ألا وهو مولانا الأعظم وسلطاننا الأكرم السلطان عبدالحميد خان بدرُ السلالة العثمانية الشريفة وشمس علا الدولة العلية المنيفة الذى منذ تبوئه أريكة العرش الحميدى الأسنى، جاعلاً نواياه المقدسة لما يؤول لرفاهية وتقدم ونجاح رعيته ماديًا وأدبيًا ساهرًا عليها كأمٍّ حنونة تحنُّ إلى ولدها إشفاقًا ومرحمةً، فشيد أركان العدل، وأطفأ نار الظلم وبسط الحرية والأمن، وسهل سبل الراحة ونشر ألوية المعارف وسهل طرق العمران وفتح أبواب التقدم والنجاح. فبذل الدرهم من جيبه الخاص لتوطيد بيوت العلم والآدب وإعانة الفقراء والمساكين ثم ترى مكارمه فاضت فعمت بلاد الغرب أيضًا، لذا نشاهد الصحف الأوربية عى اختلاف نزعاتها تنهج بذكر مآثرهِ الحميدية وأعماله المجيدة لأن بدرايته (أيدهُ الله) قد ألقيت مقاليد الأحكام إلى من

توفرت بهم أسباب العدالة، فانبثق نور العدل وانفجر ينبوع الإحسان والفضل، وبزغت شمس المعارف بعد أفولها وتنشطت قوى النفي بعد خمولها، فشبت الشعوب العثمانية من رقدتها واستفاقت من غفلتها وجدَّت فى طلب التمدن والعلوم، فأخضعت القوات الطبيعية وذللت المصاعب القوية فسخرت البرق والبخار، فأدنت ما كان بعيداً وضمّت قاصيًا وشريداً ورحم الله شاعرنا الطرادى حيث قال:

غنَّت سليمى فى الحجاز فأطربت ... مع بعدها أهل العراق نشيدا

ولو فإن رقصت بمصر فقد نرى ... فى أصبهان لقدهـــا تأويدا

أجل ما أبهج هذا العصر وقد بسمت لهُ القلوب طرباً وتاهت بفخرهِ وذكرهِ عجبًا فيه سطعت شمس العلم متلألئة فى أفق المعارف، وصاحت بلابل النجاح من كل تليدٍ وطارف حتى أصبح يتحلى بحلل الفخار فائقًا ما سواهُ من الإعصار ناشداً بلسان حاله:

فحيَّ على الفلاح فقد تجلـــى ... عمود الصبح وارتحل القتامُ

لنرجع ما طوت عذر الليـــالى ... ونبنى ما تداولهُ الهـذامُ

لنرجع أعصر الآداب تـــزهـو ... بدولةِ من هـو الملك الهمامُ

مليكٌ بين أيديهِ الليـــــالى ... جوارٍ والزمـان لهُ غـــلامُ

فشيد للتمدن كل ركـــــنٍ ... لهُ بيمـنى عنايتهِ قـــيامُ

على عبدالحميد صـــلاة ربٍ ... يقارنها رضـاهُ والسلام

فكم من المدارس التى هى أساس التمدن ودعامة العمران سواء كانت للذكور أم للأناث بين كلية وابتدائية قد رفعت أعلامها فى هذا العصر الحميدى الأنور، فاهتدينا بسناها واستنورنا بضيائها ولولاها لخبطنا خبط عشواء فى الليلة الظلماء، وكم من الأبنية النافعة الرفيعة العماد تشيدت كالمساجد والكنائس والمطابع والمعامل وغير ذلك

مما يجلى لنا برهان تقدم العصر فى حالاته الثلاث الزراعة والصناعة والتجارة ووالتى يضيق دون تبيانها المقام، والخلاصة إننا كل يوم نسمع ونرى فى عصرنا شيئًا جديداً للتقدم والعمران كطرق العربات والسكك الحديدية التى طالما كنا نسمع عن الاهتمام بها فى بلادنا وإنشاء المرافى وإنارة المدن بألغاز هذا ما نراه بعيوننا، وكم نسمع عن الاختراعات العظيمة والاكتشافات الخطيرة، فلا غرو أن وسمناه بعصر الاختراعات والاكتشافات الخطيرة هذا وبما أنى قاصرة عن تعداد أسباب التقدم فى هذا العصر لأننى مهما عرفت أو سمعت عنها لا يكون إلاَّ كنسبة قطرة من محيط، فأرى السكوت أجدر بى على أن العواطف الذاتية لا تدعنى دون التكلم قليلاً مع الاعتراف بقصورى عن حالة الشابات والنساء، وما وصلنَ إليه فى عصرنا الحميدى الأنور فهلَّم معى وقاكنَّ الله أيتها الأخوات السيدات العثمانيات للتأمل بحالة جنسنا فى العصور الخالية والأيام الماضية فنرى فرقًا عظيماً بين جهل العصر الغابر وعلم العصر الحاضر بل بين عبودية القدماء تلك الملكة الجهنمية وبين حرية بنات عصرنا، وأنها لعمرِ الحق حرية أدبية يحق لسائر الأمم أن تحسدنا عليها، فإن المرأة كانت فى العصور السالفة فى حالة الذل والهوان والشقاء والظلام يوم كان الظالمون جاهلين حقوقها زاعمين بأنها هى مجرَّد آلة لا صوت لها ولا رأى، وإنها لم تخلق إلاَّ لتكون آمة للرجل يديرها كيف شاء إما بالضرب أو بالشتم مستهجنًا ذكر اسمها، وما ذلك إلاَّ من الجهل الذين أعمى أبصارهم وأظلم أفكارهم ومن عواطف الضلال التى هاجت برؤوسهم حتى إنهم عدُّوا تهذيب الأنثى وترويض عقلها بالآداب من المعائب والشوائب.

فيا لجهل الظالمين ويا ظلم الجاهلين وهكذا بقيت ثمرة العلم محجوبة عن بصائر المرأة وظلام الجهل منتشرٌ عليها أسيرة محبوسة منحطة القدر خامدة الفكر تحتمل الذل من قومها، وهم المذنبون تصرف جل أوقاتها سدى تقص على أخواتها أوأولادها الخرافات المخيفة الخشنة والعديمة الفائدة، فتربى فيهم روح الجهل والغباوة منذ نعومة

أظفارهم «وتأمل فيما بعد كيف يشبون» فكيف لا تتحرك الشفقة فى قلوبنا على حالة تعيسة كهذه بل وكيف لا يتألم الفؤاد أسي عليها وعلى من أنكر حقوقها، وزعم أن اعتبارها وتهذيبها برياض العلوم واشتراكها فى الهيئة الاجتماعية ليس من متعلقاتها كأنها ليست شريكة الإنسانية لا يضيمها الذل ولا يقهرها الظلم، فظلت على هذه الحالة المظلمة، وهى ظمأى لماء المعارف والعلوم وليس من أحدٍ يغيثها معتصمة بالله متدرعة بالصبر قائلة مع من قال:

الدهر لا يبقى على حـــالةٍ لابد ما يقبل أو يدبـــــــر

فإن تلقاك بمكروهـــــــهِ فاصبر فإن الدهر لا يصبر

إلى أن منَّ الله عليها بتسخ النحوس وأنارها من المعارف بشموس، فلبت داعى التقدم والنجاح هاتفة هيا على الفلاح فى ظل عصرنا الحميدى الذى لسان حالهُ يناديها بقوله. قومى واستنيرى من نورى أما تسمعين ما فعلت دولتنا العلية المشيدة الأركان العظيمة الأمر والشأن بإبطال تلك العبودية ونشر الحرية، فاطرحى عنكِ تلك العبودية الجهنمية وتمتعى بالحرية الأدبية، واطلبى حقوقكِ المسلوبة وآمالكِ المنسوبة وسكنى بلبالكِ وطمنى بالكِ، فإنكِ ستكونين فى أمانٍ على الدوام لأن ببزوغ نور التمدن فى الغرب ونهضة العلوم والمعارف أخذ الرجال طريق الحق، واعطوا النساء حقوقهنَّ وإكرامهنَّ اللائق بهنَّ وبأحوالهنَّ وخولوهنَّ الاجتماع معهم فى الهيئات الاجتماعية لتقديم آرائهن بملء الحرية، فحالاً برزت المرأة من موضعها وكسرت قيد أسرها وأخذت تتناول من نور العلم ما يوسع عقلها ويهذب أخلاقها ويسهل طرق واجباتها وييسر أعمالها ويقيها من الوقوع فى ورطة الجهل ويعطى راحةً لجسمها وحريةً لضميرها واستقامةً لفعلها وإصابةً لأفكارها، وأخذ أهل الأدب يساعدونها بعد أن عرفوا أنها هى أسُّ النجاح بما يزيدها علمًا ويكسبها فهمًا، فعرَّفت وعرفت ولن تزل تعرف بأنها هى وليس غيرها حياة الهيئة الاجتماعية ورونقها وبهجتها ولولاها لأصبحت كفلكٍ بلا

شمس، إذ أنها أساس التمدن وزعيم الآداب وبالاختصار هي الواسطة الوحيدة لبلوغ المرء إلى قمم الفلاح والنجاح، فبانحطاطها ينحط العمران وبارتفاعها ترتفع الأكوان ولنا شاهد بكل الأمكنة والأزمان إذ لا يخفى ما يتوقف عليها من أمور بني الإنسان التي لا يدركها من ذلك قلم ولا لسان. فيا لسعد طالعنا ووفر حظنا نحن العثمانيات كوننا في هذا العصر الحميدي الأسعد عصر السلام ألا يؤخرنا عن التقدم إلاَّ خمولنا وكسلنا حيث لا ابنة أو امرأة تقصد تقدمها أو تقدم غيرها إلاَّ ونرى مئات من الأيدي من فوقها تلك اليد البيضاء الحميدية كانت خير مساعدة ونصيرة. فيلزمنا والحالة هذه أن لا نسمح بصرف أوقاتنا بما لا طائل تحته من الأحاديث والاهتمامات الخارجية الزائلة الجانحة بنا لهاوية الجهل فالدثار «لا سمح الله بذلك»، ونحن في هكذا عصرٍ فلنتخلق بالأخلاق الحميدة ونزدان بالعلوم والمعارف ونعكف على الشغل والعمل، ونسعى وراء كل فضيلة من شأنها ترقي الوطن فتصبح بلادنا في أمدٍ قصير جنة تجري من تحتها الأنهار، ولنعلم دائمًا أن عينًا ناظرة إلى كل أعمالنا وسنطالب إن لم نقم بواجباتنا حق القيام، وبذلك يجدر بنا أن نكون في أعلى المراتب ونصل بأمان حتى سواحل الأبدية والسلام.

التنديد بالغير وأضراره

«خطاب القتهُ حضرة الكاتبة الفاضلة الآنسة استير ازهري»

«في جمعية باكورة سوريا في بيروت»

سيداتي الفاضلات

لا ريب أن مقام الخطيب في كل عصر ومصر النظر لما خل من الأحوال بعين الناقد البصير وتحريض القوم على إصلاحها ما استطاعوا إلى الإصلاح سبيلاً ممهداً